

مجمع الأمثال

3738 - أَلْحَنُ مِنْ قَيْدَتَيْ يَزِيدَ .

يعنون به لحن الغناء والمثل من أمثال أهل الشام ويزيد هذا هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وقَيْدَتَاهُ حَبَابَةٌ وسلامة وكانتا ألحن من رأى في الإسلام من قِيَانِ النساءِ واستُهِتِرَ يزيد وهو خليفة بحبابة حتى أهْمَلَ أمرَ الأمة وتخلى بها ومن استهتاره بها أن غنته يوماً :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لأَحِبُّ سَلْعًا ... لِرُؤُوسِ يَتِيهَا وَمَنْ أَضْحَى بِسَلْعٍ .
تَقَرَّرُ بِرُقْرُبِهَا عَيْنِي وَإِنِّي ... لأَخْشَى أَنْ تَكُونِ تَرِيدُ فَجْعِي .
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى ... وَأَيُّدِي السَّابِحَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ .
لَا زِلَّ عَلَيَّ التَّذَنُّائِي فَاعْلَمِيهِ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصَرِي وَسَمْعِي .
ثم تنفَّست فَقَالَ يزيد : إن شئتُ أن أنقلَ إليك سَلْعًا حَجَرًا حِجْرًا أُمِرْتُ
فَقَالَاتِ : وما أصنع بِسَلْعٍ ؟ ليس إياه أَرَدْتُ ثم غَنَتْهُ :
بَيْنَ التَّرَاقِي وَاللَّهَاءِ حَرَارَةٌ ... مَا تَطْمَئِنُّ وَلَا تَسْوَعُ فَتَدِيرُ دَا

فأهوى يزيد ليطير فَقَالَاتِ : كما أنت على مَنْ تَخْلِفُ الأمة ؟ فَقَالَ : عليك .
قَالَ حمزة : وأما لحن الغناء فيجمع على لُحُونٍ وَأَلْحَانٍ فيُقَالُ : لَحَنَ فِي قِراءَتِهِ
إِذَا طَرَّبَ فِيهَا وَغَرَّدَ وَقَالَ : سمعت أبا بكر ابن دريد يقول : أصل السَّلْحَنُ فِي
الكلام الفِطْرُونةُ وَفِي الحديث " ولعلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ " أَي أَوْطَنَ
لَهَا وَأَغْوَصَ عَلَيْهَا وَذَلِكَ أَنَّ معنى اللحن فِي الكلام أَنْ تُرِيدَ الشَّيْءَ فَتُورِّىَ عَنْهُ بِقَوْلٍ
آخِرٍ وَقِيلَ لِمَعَاوِيَةَ : إِنْ عَبِدَ ابْنُ زِيَادٍ يَلْحَنُ فَقَالَ : أَوْ لَيْسَ بِطَرِيفٍ لِابْنِ أَخِي أَنْ
يَتَكَلَّمَ بِالْفَارْسِيَةِ إِذْ كَانَ التَّكَلُّمُ بِهَا مَعْدُولًا عَنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَالَ الْفَزَارِيُّ :
وَحَدِيثُ الذُّهِيِّ هُوَ مِمَّا ... يَنْدَعَتْ الذَّاعِيُونَ يُوزَنُ وَزْنًا .
مَنْطِقُ رَائِعُ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا ... نَاءً وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا .
يريد أنها تتكلم بالشَّيْءِ وَهِيَ تَرِيدُ غَيْرَهُ وَتَعْرِضُ فِي حَدِيثِهَا فَتَزِيلُهُ عَنْ جِهَتِهِ مِنْ ذِكَائِهَا
وَفُطْنَتِهَا وَكَمَا قَالَ D (وَلِتَعْرِفَنَّ هُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) وَكَمَا قَالَ الْقَتَّالُ
الْكَلَابِيُّ :

وَلَقَدْ وَحَايَتُ لَكُمْ لِكَيْمًا تَفْهَمُوا ... وَلَحْنَتُ لَحْنًا لَيْسَ
بِالْمُرْتَابِ [ص 256] .

واللحن في العربية راجع إلى هذا لأنه العُدُول عن الصواب لأنك إذا قلت : " ضربت عبدُ
[] يزيدُ " لم يدر أيهما الضارب وأيهما المضروب فكأنك قد عَدَلْتَ عن جهته فإذا
أَعْرَبْتَ عن معنالك فُهِمَ عنك فسمى اللحن في الكلام لحناً لأنه يخرج على نحوين وتحت
معنيين ويسمى الأعراب نحواً لأن صاحبه يَنذِرُوا الصواب أي يقصده .

قَالَ أبو بكر : وقد غلط بعضُ الكبار من العلماء في تفسير بيت الفَزَارِي وهو عمرو ابن
بحر الجاحظ وأودعه كتاب البيان فَقَالَ : معنى قوله " وخير الحديث ما كان لحناً " هو
أنه تَعَجَّبَ من الجارية أن تكون غيرَ فصيحة وأن يعتري كلامها لحن فهذه عشرةٌ منه لا
تُقَال وقد استَدْرَكَتَ عليه عشرةٌ أخرى وهو أنه قَالَ : حدثني محمد بن سلام الجمحي
قَالَ : سمعت يونس النحوي يقول : ما جاءنا من روائع الكلام ما جاءنا عن النبي A وهذه
الحكاية تجمع إلى التصحيف الذي فيها قِلَّةُ الفائدة فأما قلة الفائدة فلأن أحداً ممن
أسلم أو عَانَدَ قط لم يَشْكُ في أن النبي A كان أفصحَ الخلق وأما التصحيف فلأن أبا
حاتم حدثني عن الأَصْمَعِي عن يونس قَالَ : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن
البُسْتِي (1) .

بعد النبي A يعنى عثمان البستي (1) .

(كذا وأحسب أنه تصحيف عن " البتي " بفتح الباء وتشديد التاء بعدها ياء مشددة للنسب
وهو أبو عمرو عثمان بن مسلم البصري وتوفى سنة 143 - من الهجرة) .
فأما قولهم :